تفسير ابن كثير

أخبرنا تعالى أنه يبتلي عباده أي يختبرهم ويمتحنهم كما قال تعالى : { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم } فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع كما قال تعالى : { فأذاقها الله لباس الجوع والخوف } فإن الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه ولهذا قال لباس الجوع والخوف وقال ههنا : { بشيء من الخوف والجوع } أي بقليل من ذلك { ونقص من الأموال } أي ذهاب بعضها { والأنفس } كموت الأصحاب والأقارب والأحباب { والثمرات } أي لا تغل الحدائق والمزارع كعادتها قال بعض السلف : فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده فمن صبر أثابه ومن قنط أحل به عقابه ولهذا قال تعالى : { وبشر الصابرين } وقد حكى بعض المفسرين أن المراد من الخوف ههنا خوف الله وبالجوع صيام رمضان وبنقص الأموال الزكاة والأنفس الأمراض والثمرات الأولاد وفي هذا نظر والله أعلم ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال : { الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون } أي تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده وأنهم إليه راجعون في الدار الاخرة ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال : { أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة } أي ثناء من الله عليهم قال سعيد بن جبير : أي أمنة من العذاب { وأولئك هم المهتدون } قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : نعم العدلان ونعمت العلاوة { أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة } فهذان العدلان { وأولئك هم المهتدون } فهذه العلاوة وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضا .

وقد ورد في ثواب الاسترجاع وهو قول { إنا لله وإنا إليه راجعون } عند المصائب أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلّم قولا سررت به قال : [لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول : اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا فعل ذلك به] قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها ثم رجعت إلى نفسي فقلت : من أين لي خير من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأنا أدبغ إهابا لي فغسلت يدي من القرظ وأذنت له

فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبني إلى نفسي فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول ا ما بي أن لا يكون بك الرغبة لكني امرأة في غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئا يعذبني ا به وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال فقال : [أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها ا D عنك وأما ما ذكرت من السن قد أصابني مثل الذي أصابك وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي] قالت : فقد سلمت لرسول ا صلى ا عليه وسلّم فتزوجها رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقالت أم سلمة بعد : أبدلني ا بأبي سلمة خيرا منه : رسول ا صلى ا عليه وسلّم وفي صحيح مسلم عنها أنها قالت : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : { إنا وإنا إليه راجعون } اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا آجره ا في مصيبته وأخلف له خيرا منها] قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت : كما أمرني رسول ا صلى ا عليه وسلّم فأخلف ا لي خيرا منه رسول ا صلى ا عليه وسلّم وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد وعباد بن عباد قالا : حدثنا هشام بن أبي هشام حدثنا عباد بن زياد عن أمه عن فاطمة ابنة الحسين عن أبيها الحسين بن علي عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : [ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها ـ وقال عباد قدم عهدها ـ فيحدث لذلك استرجاعا إلا جدد ا له عن ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب] ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن هشام بن زياد عن أمه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها وقد رواه إسماعيل بن علية ويزيد بن هارون عن هشام بن زياد عن أبيه (كذا) عن فاطمة عن أبيها وقال الإمام أحمد أنا يحيى بن إسحاق السيلحيني أنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال : دفنت ابنا لي فإني لفي القبر إذ أخذ بيدي أبو طلحة يعني الخولاني فأخرجني وقال لي : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى قال : حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عوزب عن أبي موسى قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [قال ا : يا ملك الموت قبضت ولد عبدي ؟ قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ؟ قال : نعم قال : فما قال ؟ قال : حمدك واسترجع قال : ابنو له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد] .

ثم رواه عن علي بن إسحاق عن عبد ا بن المبارك فذكره وهكذا رواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به وقال حسن غريب واسم أبي سنان عيسى بن سنان